مقدمة

عاشق الإذاعة فى محراب معشوقته ..

هذا كتاب من طراز نادر، لواحد من صفوة الإذاعيين الكبار، الذين أقاموا صرح الإذاعة المصرية، فى تطورها الباذخ عبر الزمن، بعد أن تسلموها من أيدى جيل الرواد الأول، وولدت صورتها الراهنة المتمثلة فى فضاءات واسعة من ألوان الفن والسياسة والثقافة والحياة الاجتماعية والرياضية، بفضل الجيل الذى يمثله «فهمى عمر» أصدق تمثيل، جيل التحدى والمغامرة، والإنجاز الواسع فى كل مجال، وجيل الغيرة على الإذاعة اسماً ومعنىً، شكلاً ومضموناً، يتغنى باسمها فى كل وقت وفى كل مناسبة، ولا يجد لها بديلاً أو نظيراً مهما كان المتصدى لمنافستها، دوراً وأداء. من هنا فهو الجيل الذى يمكن أن يطلق عليه (الجيل العاشق للميكروفون).

ولقد أتيح للإذاعى الكبير «فهمى عمر» ما لم يتح لغيره من أبناء جيله، أو الأجيال التالية له، من خبرات ومواقف، وأحداث وذكريات، وأيام سعيدة وأخرى غير سعيدة، ما جعل من شهادته على حياته الحافلة، فى كل جوانبها وزواياها، وثيقة حياة نابضة بالبساطة والصدق والتلقائية، تلفحنا حرارة أنسامها تارة، وتشككنا وقائعها الغريبة والمدهشة والمفاجئة تارة أخرى، وتكاد تدمع عيوننا – فرحاً وابتهاجاً – ونحن نتابع فصولها التى يحكى فيها الحكاء الكبير «فهمى عمر» وكأنه الشاعر الشعبى الذى يسكب من نفسه ومن مخزون وجدانه، فى مواله الجميل، وهو يتألق فى الاستحواذ على أسماع سامعيه، وهم هنا قراؤه فى هذا الكتاب المدهش البديع ..

لا أظن أن من بين الإذاعيين جميعاً من أتاحت له حياته دوراناً فى هذه المجالات الكبرى: الإذاعة والرياضة والعمل النيابى، مازجاً بينها حيناً، ومتنقلاً بينها بحسه المرهف، وذكائه الحاد، وفطرته السليمة، أحياناً أخرى. لكنه فى كل الأحوال، الإنسان الجميل الذى يشع دائماً ويشرق بابتسامته، وتحمل سماته وملامحه خلاصة الروح المصرية الصميمة، وخفة ظلها، وطلاقة لسانها، ولذة قفشتها، جاعلاً من لهجته الصعيدية – إذا شاء – باباً لفتح مغاليق القلوب، وشفرة للإيناس بين الصحبة والأصدقاء فى مجالس السمر، والفكاهة، وهو فارسها ونجمها اللامع، وفى مجالى الجد والمسئولية والمواقف الصعبة، وهو فيها أيضاً صاحب الصوت والرأى والتأثير والجاذبية الطاغية.

وقد نجح «فهمى عمر» – منذ بداياته الأولى – أن يصنع نفسه على عينه، وأن يكون لنفسه ثقافة متوازنة، فى مجالات شتى، ومعرفة واسعة بأمور لا يعرفها الناس عنه، لكنه طيلة مراحل حياته ظل يتميز بقدرته على إثارة السؤال، ولا تهدأ نفسه إلا بالحصول على الإجابة المقنعة، ومن هذه الإجابات

المقنعة، ظل يبنى لنفسه كوناً من المعرفة وعالماً من الثقافة، نطالعه فى كتاباته، ويدهشنا به فى أحاديثه، وفى كل ما يصدر عنه من رأى أو موقف .

ولقد أتيح لى أن أشهده – عن كثب – فى عدد من مواقع العمل الإذاعى، الذى تسنم ذروته رئيساً للإذاعة على مدار ست سنوات، كانت متوهجة بنشاطه الذى لا يهدأ، وحرصه على التجديد والتطوير، والوصول بكل ما تنتجه الإذاعة إلى المستوى المنافس الذى يصمد فى المواجهة، ويظل يشد المستمعين إليه، صغاراً وكباراً، ليل نهار، ومع ذلك فهو لا يرضى حتى يجد جديداً يولد، وأملاً يتحقق، واستجابة حقيقية تشهد له بالإدارة الحازمة الرفيقة، والتوجيه الأبوى والأخوى، وروح الزمالة التى تشد الجميع إليه، والتى يعتبرها ثروته الحقيقية حتى اليوم .

يقول «فهمى عمر» فى كلمات تلخص رحلته الطويلة على مدى نصف قرن مع العمل الإذاعى، وأثرها العميق فى نفسه :

«وأحمد الله أننى بقدر ما أعطيت الإذاعة من جهد وعرق، فقد أعطتنى هى الكثير والأكثر، ذلك أننى ما زلت حتى اليوم على رغم تركى للعمل الإذاعى أجنى ثمار هذا العطاء المتبادل حباً وتقديراً وودا من أبنائى وبناتى العاملين بشبكات الإذاعة المختلفة، والذين يملأون قلبى بالسعادة، وهم يقومون بمبادرات التواصل والحب والوفاء، ويستقبلوننى بالأحضان عندما أجتاز طرقة من طرقات المبنى الضخم، الرابض على نيل مصر فى ماسبيرو. إننى أعيش الآن أيامى متمتعاً بجنى عائد متجدد من ثمار تلك العلاقة والذكريات الجميلة التى ربطتنى بالمبنى وبمن فيه من الأبناء والبنات. إن صلتى بالإذاعة وأبنائها وبناتها لم تكن صلة أو علاقة بين رئيس ومرءوس بقدر ما كانت صلة زمالة وأخوة ومحبة، وها أنذا فى هذه السن وفى هذه المرحلة من العمر أجنى ثمار هذه الصلة»..

وهى كلمات كاشفة عن القلب الإنسانى الذى يمتلئ بهذه المشاعر الحانية، والروح الأبوية، والمحبة الفياضة، التى تنعكس على صاحبها حتى اليوم حيوية وشباباً وإشراقاً، وإقبالاً على الحياة، وتهيؤاً دائماً لكل ما هو جديد من الأمور، واستقبالاً وحملاً للمسئولية، وأداءً للواجب.

والذى لا شك فيه أن الخريطة الإذاعية التى تم تحديثها على يديه فى النصف الأول من الثمانينيات، ما تزال هى الأساس الراسخ الذى تقوم عليه الخريطة الإذاعية الآن وتنطلق منه. وما تزال البرامج التى أبدعها فكره وفكر زملائه وأصدقائه تحتل مكانها وموقعها فى دائرة النجاح والتألق، وما تزال دائرة البرامج الرياضية والإذاعات الرياضية – بكاملها – مدينة له بتنوعها وغزارتها وعناصر النجاح التى تقوم عليها، فضلاً عن برامج الثقافة والمنوعات، التى كان يحرص على إكسابها طابع التشويق والإحترام، بعيدة عن الجهامة، وفى الوقت نفسه بعيدة عن الضحالة أو الإسفاف. ومن هنا كان المفتاح لعالمه الإذاعى يكمن فى كلمة (الاحترام)، الاحترام للنفس وللآخرين، الإحترام للمتلقين والمستمعين، الاحترام للرؤساء والمرءوسين، فكان طبيعياً أن يتحرك دائماً فى إطار من التوازن الدقيق، والمعرفة

الواسعة بكل ما حوله ومن حوله، والاستعداد الدائم لبذل أقصى جهد من أجل تحقيق كل ما يتصوره ضرورياً ومهماً فى حياته وفى عمله.

و «فهمى عمر» واحد من أصحاب الأساليب الجميلة. ولغته لغة رشيقة وصافية، تصل إلى القلوب والعقول من أيسر سبيل. وهو لا يجد عنتاً عندما يكتب، الخواطر والأفكار تنهمر عليه كالسيل، وهو - فى ذروة وعيه وصحوه - يختار وينتقى، ولا يهدأ حتى يصل إلى الكلمة المعبرة، والفكرة الواضحة، والهدف المباشر. ولو لم يكن إذاعياً يشار إليه بالبنان؛ لكان كاتباً صحفياً متألقاً. فهو لا ينقصه ما ينبغى للصحفى من لماحية وقدرة على الاستيعاب والتقصى ومعرفة كل شىء، أو لغة سلسة شديدة اليسر والوضوح، تجمع بين بلاغة الفصحى وروح العامية الذكية أحياناً، فتغتنى بهذه (الخلطة) الجميلة التى هى روح صاحبها وأسلوبه فى الحياة قبل أن تكون أسلوبه فى الكتابة.

ولذا فقد جاءت هذه المذكرات متدفقة زاخرة عامرة، وأتاح له تسلسلها - لأنها نشرت مسلسلة - نفساً متوهجة وراء سطورها وكلماتها، وهو أمر يجعل منها وثيقة بالغة الأهمية عن الإذاعة تقرؤها كأنك تعيش وتتحرك وتتنفس بين فصولها. نحن هنا نكاد نرى ونلمس ونحس ونشم كل ما يتصل بالحياة الإذاعية على مدار نصف قرن، بأكثر وأروع مما حمله كتاب كروان الإذاعة «محمد فتحى» عن الإذاعة والذى ألفه بتشجيع وحفز من «فهمى عمر» رئيس الإذاعة. لكن كتاب «محمد فتحى» تنقصه الروح الإنسانية والنبض الصادق والحس الفنى والوعى الوطنى، الذى يتدفق فى هذا الكتاب الذى يقدمه «فهمى عمر» لمستمعيه بالأمس وقرائه اليوم. وهو كتاب يقول لنا إن لدى صاحبه المزيد الذى يمكن أن يقوله فى مجال العمل النيابى الذى شهد مشاركته فيه عضواً منتخباً فى مجلس الشعب، وبرلمانياً ناجحاً على مستوى الدائرة والوطن، وحجم الخدمات التى قدمها لمواطنيه، أفراداً وجماعات، فى خيط وثيق يمتد من القرية حتى القاهرة، وفى عمل وجهد هائل، استنفد الكثير من طاقاته وصحته، لكنه لم يكن أبداً على حساب اهتماماته الأساسية الإذاعية والرياضية، بل ظل أداؤه فيهما - كما عهده الناس دائماً - يقوده من نجاح إلى نجاح، ومن إنجاز إلى إنجاز، كما أن بصمته فيهما - كليهما - ستبقى حية وماثلة تشهد بكفاءته واقتداره، وهمته وعزيمته ووطنيته.

كما أنه مايزال لديه الكثير ليقوله فى الواقع الرياضى الآن، وبصفة خاصة فى الأزمة التى يمر بها ناديه الأثير لديه وهو (نادى الزمالك). ولابد أن لديه تشخيصاً للعلة وطبيعة الداء، وحلولاً لما يعتبره البعض معضلة أو سداً مانعاً. وربما أبعد نفسه عن عمد فى هذه المذكرات، فلم يشأ أن يخوض فيها أكثر، حريصاً على أن يظل على مسافة واحدة من الأطراف المتصارعة، لكن ما كتبه عن ناديه يظل هادياً وكاشفاً عن محبته له وعن انتمائه إليه، وكيف كان نهجه وأسلوبه فى معالجة أزمات النادى السابقة، بما يقود السفينة إلى بر الأمان.

ثم هى كتابة على درجة عالية من الجرأة وصدق التناول، لسيرة حياة عامرة بالمواجهات الصعبة. لم يكن صاحبها بالمتردد أو بالذى يغمض عينيه على فساد، أو محاولة للتدخل ممن لا يملك حق

التدخل، حتى لو تذرع بالعناوين واللافتات التى كانت تجعل كثيرين يرتعشون وهم فى موقع الإدارة والمسئولية، عندما يلوح لهم بلافتة الأمن العام أو المخابرات أو أمن الدولة ؛ فيرد على هؤلاء الملوحين بقـوة وعنف، مسـتنداً إلى هيبته ونقاء اسمه من ناحية، وثقة المسـئولين الكبـار فيه ومعرفتهم به من ناحية أخرى.

إن الإذاعى الكبير «فهمى عمر» عاشق الميكروفون، والرياضى الكبير عاشق الساحرة المستديرة (الكرة)، والنيابى المتألق عاشق خدمة الناس والساهر على قضاء مصالحهم: يدخلنا من خلال هذا الكتاب البديع إلى جوانب عالمه الثرى، الذى يفوح من بين سـطور صفحاته عطر الأحباب وهو يتحدث عن أسـاتذته من رواد الإذاعة، ومجايليه من زملائه وأصدقائه، وعن علاقته بالأجيال الشـابة الواعدة، بقلب يتسـع للجميع، ويحمل التقدير والإعزاز للجميع، عازفاً سـيمفونية من الحب الجميل للناس والوطن وللإذاعة المصرية، ولعشـرات من الوجوه التى انعكسـت صورها فى مرآته الصافية النقية، فجاءت وكأنها لوحة قلمية رسمها قلم مصور متمكن، يعرف العلاقة بين النور والظل، والمساحة التى ينبغى أن تتحرك فيها شخوص كل لوحة، وأهمية لوحة دون أخرى. كل هذا بمعيار صارم دقيق هو معيار العدل، والمصداقية والتأثير الأقوى والأعمق. ولقد نجح «فهمى عمر» فى إقامة معرض باذخ، تتابع فيه المشاهد والمعروضات فيما يشبه ومض البصر، فلا وقت لديه للإطناب والاستفاضة، لكنه يكتفى باللمحة التى تشير، والكلمة التى تقول فتغنى عن الكثير.

تهنئتـى للإذاعـة، أن أتيح لها أخيراً – وفى عيدها الخامس والسـبعين – مـن بين أبنائها وكبار مبدعيها، هذا الابن البار الذى يعكف عليها وعلى تاريخها وإنجازاتها بمثل هذه المحبة وهذا الانتماء العميق وهذه النبرة المليئة بالثقة والتفاؤل فى الغد القادم، وهو أقصى ما يريده العاشقون لعشوقاتهم..

فاروق شوشة

توطئة

وأخـيراً جـاء الوقت الذى أقول فيه كلمـة فى حق الإذاعة المصرية التى أقطـع باليقين أنها كانت ولا تزال جزءا كبيرا من كيانى بل هى كيانى كله فهى كانت ولا تزال محور حياتى واهتماماتى ومصدر سعادتى وأحمد الله أننى بقدر ما أعطيت الإذاعة من جهد وعرق أعطتنى هى الكثير والأكثر ذلك أننى مازلـت حتـى اليوم وعلى رغم تركى للعمل الإذاعى فمازلت أجنى ثمار هذا العطاء المتبادل حبا وتقديرا وودا من أبنائى وبناتى العاملين بشـبكات الإذاعة المختلفة والذين يملأون قلبى بالسـعادة وهم يقومون بمبادرات التواصل والحب والوفاء ويسـتقبلوننى بالأحضان عندما اجتاز طرقة من طرقات المبنى الضخم الرابـض على نيل مصر فى ماسـبيرو. إننى أعيش الآن أيامى متمتعـا بجنى عائد متجدد من ثمار تلك العلاقـة والذكريـات الجميلة التى ربطتنى بالمبنى وبمـن فيه من الأبناء والبنـات. إن صلتى بالإذاعة وبأبنائهـا وبناتهـا لم تكن صلة أو علاقة بين رئيس ومرءوس بقدر مـا كانت صلة زمالة وأخوة ومحبة وها أنذا فى هذه السن وفى هذه المرحلة من العمر أجنى ثمار هذه الصلة وستظل الإذاعة المصرية على رغم أنها تعيش زمن الزوجة القديمة بعد أن أصبح التليفزيون العروس الجديدة ستظل الجهاز الإعلامى الذى ينشـر الجمال ويحافظ على الذوق الفنى بما تقدمه شـبكاتها المختلفة من فنون إذاعية لا إسـفاف فيها ولا ابتـذال.. ذلك أننى مازلت أعتقد بأن الكلمة التى تخرج عـبر ميكروفونها كلمة أنيقة واللحن الذى تبثه يثرى الوجدان والحوار الذى تقدمه موضوعى وإيجابى محافظة على مسئولياتها التى اضطلعت بها منذ نشـأتها والتى تتمثل فى تقديم الثقافة المسـلية والتسـلية المثقفة وستظل الإذاعة المصرية كتيبة صد لكل كلمة بلهاء ونغمة نشاز وأسلوب جارح وخط هجوم على كل من يعتدى على المقدسات والقيم ومنذ أن بدأ الرواد الأوائل منذ خمسة وسبعين عاما يرددون عبر الأثير الكلمتين الخالدتين «هنا القاهرة» ثبتت الإذاعة المصرية أقدامها كجامعة أثيرية فضائية باذخة تنشر العلم والثقافة وتتدفق بالعطاء الأدبى والفنى فمن الإذاعة المصرية نهل أبناء مصر وأشـقاؤهم فى الوطن العربى وشربوا من ينابيع المعرفة التى بثتها، ومن خلال ميكروفونها تحدث أسـاطين الثقافة والأدب طه حسـين والعقاد وغربال وأبو حديد وفكرى أباظة وثقات المفسـرين والمحدثين الشـيخ شلتوت والشيخ مخلوف والشـيخ أبو زهرة وصافحت الآذان أصوات مشـاهير القراء رفعت والفشنى والشعشـاعى وشعيشع وعبد الباسط ومصطفى إسماعيل وسعدت الأسماع بشـدو أم كلثوم وعبد الوهاب والأطرش والعندليب وبأداء يوسـف وهبى وجورج أبيض وزينب صدقـى وطليمـات لقد التف الجميع حول الإذاعة المصرية التى شـكلت الوجـدان بفنون إذاعية كانت جديدة على الأذن والذهن كما قدمت لهم قوالب إذاعية عبرت عن آمالهم وطموحاتهم وعكست همومهم ومشـاكلهم وكانت الأنيس والجليس الذى أنار الطريق وهدى إلى سـبيل المعرفة وأيقظ المشاعر والحواس

هادفاً أن نكون خير أمة أخرجت للناس.

تحيـة للإذاعة المصرية صاحبة الفضل الأكبر على شـخصى الضعيف وتحيَة لهـا أيضا لأنه لولاها لما كانت هذه الذكريات التى تفضلت دار المعارف بنشرها فى هذا الكتاب..

فهمى عـمـر